

التطورات السياسية في الجزائر خلال
1926م – 1936م

أ. ميسوم بلقاسم
جامعة بسكرة

تميزت هذه المرحلة (1926 - 1936) بأحداث سياسية دسمة ومهمة، فعلى الصعيد الأهلي نجد تبلور الحركة الوطنية وتطورها، أما على الصعيد الاستعماري فقد استمرت سياسة الإدارة الفرنسية المبنية على قانون الأنديجينا تمنع الحقوق السياسية عن الجزائريين. ففيما كانت تتمثل تلك الأحداث وما كان أثرها على نشاط الحركة الوطنية وعلى الإدارة الاستعمارية؟ أول ما يتجلى هو نشاط جمعية نجم شمال إفريقيا .

1 - نشاط وتطور جمعية نجم شمال إفريقيا :

تأسست يوم 20 جوان 1926، بفرنسا برئاسة حاج علي عبد القادر، ومصالي الحاج كاتبا عاما، وبناء على قانونها الأساسي فهي تهدف إلى مساعدة مسلمي الشمال الإفريقي بفرنسا، ورفع جميع المظالم أمام الرأي العام، وحددت كل المطالب المستعجلة المشتركة بين العمال المغاربة في فرنسا، وعزمت على تحقيقها بواسطة الصحافة والاجتماعات العامة، والمناشير والنشاط البرلماني وتقديم العرائض.

خلال سنة 1927 انعقد مؤتمر ببيروكسل من تنظيم الجمعية المعادية للاضطهاد الاستعماري، وممن حضره نهرو ممثلا للهند، ومثل شمال إفريقيا النجم بقيادة مصالي الحاج، وكان الانعقاد ما بين 10 و15 فبراير 1927، ويعتبر هذا المؤتمر الأول من نوعه، فقد

ظهر كأكبر حدث سياسي عالمي، ندّد فيه الضعفاء بتسلط الأقوياء، وتمثلت أهم مطالب الجزائريين بما يلي :

- 1 -استقلال الجزائر.
 - 2 -جلاء قوات الاحتلال.
 - 3 -تأسيس جيش وطني .
- إضافة إلى مطالب إصلاحية في ظل السيادة الفرنسية، كاسترجاع الأراضي والغابات، وحرية الصحافة، وحق الاجتماع والحقوق السياسية والنقابية⁽¹⁾. من خلال هذه المطالب نجد ورود كلمة الاستقلال لأول مرة، فظهر النجم ثوريا، بعد ما كان خلال 1926 سنة تأسيسه لا يتعدى استعمال الاحتجاج والمطالبة بالإصلاحات .
- تتقسم مطالب النجم إلى قسمين، الأول يضم بصفة خاصة استقلال الجزائر، أما القسم الثاني فيضم مطالب إصلاحية، وما يلاحظ أن هذين القسمين متضاربان، فالاستقلال يعني خروج الفرنسيين من البلاد، والإصلاحات تعني تحسين الوضعية في ظل السيادة الفرنسية .

ويظهر أن عناصر النجم لم يكونوا يفرقون بين مطلبي الاستقلال والإصلاحات الاجتماعية والثقافية التي يطلب من فرنسا تحقيقها، فمطلب الاستقلال وحده كاف لتحقيق المطالب الأخرى، كما أن المطالب الاقتصادية غابت كالصناعة والمناجم، وأهمل الميدان الديني كلية.

ومهما يكن من تناقض فإن النجم قد أظهر أيديولوجيته الاستقلالية، أما الإدارة فقد هالها الأمر، وعملت على تفكيك النجم، إذ قامت بشن حملة دعائية في كل من تونس والجزائر، واعتبرته جزءا من الحزب الشيوعي، وأن مطالبه متطرفة ويعمل لصالح موسكو، وبقرار من محكمة السين الباريسية أعلن عن حله، خلال عهد حكومة طاريدو اليمينية، وذلك في 20 نوفمبر 1929⁽²⁾، وتعرض أعضاء النجم للعقوبات الصارمة كالسجن والتفريم المتفاوت. غير أن قرار الحل لم ينفذ رسميا لأنه لم يكن قانونيا⁽³⁾، مما سمح له بمواصلة النشاط، ولكن بتحفظ وتستر كبيرين. وإذا كان النجم قد ضمّ عناصر شيوعية فسرعان ما أخذت تنفصل عنه غير لهجته ومطالبته بالاستقلال، فتراجع النفوذ الشيوعي السائد منذ التأسيس، إذ تخلى حاج علي عبد القادر عن النجم لاختلاف وجهات النظر، وفي سنة 1932 لم يكن أي شيوعي في التنظيم⁽⁴⁾. وأخذ الاتجاه الوطني الثوري يتأصل، وطعمت الجمعية نفسها بأعضاء جدد وأسست جريدة الأمة لنشر أخبار الحركة، وبجانبا جريدة "البرلمان الجزائري".

إن النجم تفادى التناقضات التي وقع فيها، وظهر ذلك عند عقده لمؤتمر في يوم 8 ماي 1933 بفرنسا، حيث أصدر برنامجا مطولا يتألف من قسمين، يشتملان الإجراءات والتدابير الواجب اتخاذها في مرحلة النضال⁽⁵⁾، فوضّح المطالب الإصلاحية الفورية في القسم

الأول كإلغاء قانون الأهالي وتحسين وضعيتهم وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، أما القسم الثاني فضم المطالبة باستقلال الجزائر وإنشاء جيش وطني وحكومة وطنية ثورية وجمعية تأسيسية⁽⁶⁾. واتضح من خلال القرارات المتخذة أن النجم اعتنق مبادئ ثورية شاملة في الميدان السياسي والاجتماعي، وبحكم نشأته العمالية فقد سبق كثيرا من الحركات السياسية في البلاد العربية الأخرى بربط التحرير السياسي بالإصلاح الاجتماعي⁽⁷⁾، ويلتقي النجم مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الدعوة إلى التعليم، ومحو الأمية قبل الوصول إلى الاستقلال .

يظهر أن النجم قد مرّ بثلاث مراحل في مسيرته، أما الأولى فمن 1926 إلى 1929، وتعد مرحلة التكوين والتجربة، ثم مرحلة 1930 - 1933 تميزت بالتنظيم والتركيز حيث عقد المؤتمر المذكور، والذي حدد البرنامج السياسي والقوانين الداخلية والمطالب المستعجلة، أما المرحلة الأخيرة فتمتد من المؤتمر إلى حله نهائيا في جانفي 1937.

وكان للنجم نشاطات مهمة، فقد شارك في المؤتمر الإسلامي المنعقد في شهر جوان سنة 1936 وكان له موقف، نتعرض له عند الحديث عن ذلك المؤتمر.

ولأن النجم كان يهدف إلى نفس الاستعمار، ما دفع الإدارة إلى توريطة ومحاكمة أعضائه واعتقالهم. وأعلنت قرار الحل في 26

جانفي 1937 حكومة الجبهة الشعبية بعد ما ثبت لها عداوة النجم لفرنسا بمطالبه الانفصالية⁽⁸⁾.

إذا كان النجم قد رفع مطلب الاستقلال، وظهر ثوريا فما مصير ذلك عقب تنفيذ قرار الحل النهائي؟

2 - حزب الشعب الجزائري :

لم يكن قرار الحل مؤثرا على المناضلين، فقد أسسوا في فرنسا حزب الشعب الجزائري بتاريخ 11 مارس 1937 برئاسة مصالي، ومن خلال التسمية يظهر أن الحزب خاص بالجزائر خلافا للنجم الذي يشمل كلا من الجزائر والمغرب وتونس، وكان تأسيس حزب الشعب على غرار الحزب الحر الدستوري والعمل المغربي⁽⁹⁾، ويظهر أن البرنامج لا يختلف عن مثيله للنجم، إنما تغير الاسم فقط، ولكن كلمة الاستقلال لم تكن واردة، لأنها كانت تعني الارتقاء في أحضان الفاشية، والانفصال عن فرنسا معناه الدخول مع إيطاليا وألمانيا⁽¹⁰⁾.

من أهدافه تحسين أوضاع الجزائريين بجميع أنواعها، وهذا على المدى القريب، أما على المدى البعيد فيرمي إلى التحرر، وذكر مصالي في معرض حديثه عن الاستقلال: (أنه ليس أمرا طبيعيا فقط بل هو راسخ في قلب كل جزائري مسلم، وهو حق لنا، ... إنني أحب وطني ولغتي وتقاليدي الإسلامية، وإنني أعمل لأخرجه من هذه الوضعية التي لا تطاق)⁽¹¹⁾.

وقد ركزت جريدة الأمة لسان حال الحزب حملاتها على الاستعمار وفضح أساليبه⁽¹²⁾.

ونظم المناضلون مظاهرات ومحاضرات منددة ودعائية... ومن مواقف الحزب رفضه لمشروع بلوم فيوليت، وعلّق عليه بأنه مفكك للمجتمع الإسلامي ليخلق أقلية متميزة⁽¹³⁾. وتمكن مصالي من نقل نشاطه إلى مدينة الجزائر التي وصلها شخصيا يوم 20 جوان 1937، وتم تأسيس فروع له بعمالتي وهران وقسنطينة⁽¹⁴⁾، ونظرا لنشاطه فقد تمت محاكمته يوم 02 نوفمبر 1937 وحكم عليه مع ثلاثة من زملائه سنتين سجنا⁽¹⁵⁾. غير أنه قاد الحزب من زنزانتة⁽¹⁶⁾. وكانت سنة 1939 كارثة للحزب، ففي 27 أوت منها منعت جريدتا الأمة والبرلمان الجزائري عن الصدور، وفي 26 سبتمبر صدر قرار بحل حزب الشعب، بدعوى أنه يتعامل مع ألمانيا، وفي 04 أكتوبر تم اعتقال 28 شخصية سياسية مرموقة منها مصالي الذي كان قد أطلق سراحه يوم 27 أوت 1939 فقط⁽¹⁷⁾. وهكذا عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية كان حزب الشعب ممنوعا قانونيا، وأعضاؤه في السجن، وجرائده متوقفة. وما يمكن الاستفسار عنه هو وضعية الجزائر خلال الحرب؟ وذلك ما نجيب عنه في حينه.

الاحتفالات المؤبة للاحتلال 1930 :

بحلول سنة 1930، كان قد مرّ على الاحتلال الفرنسي للجزائر قرن كامل، وعوض أن تقوم الإدارة الفرنسية بمراجعة نفسها على ماقامت به من سياسة استدمارية بتحسين ظروف السكان، راحت تنبش الجراح، واستغلت في هذه المرة فرصة مرور القرن لتجعل منه حربا نفسية، وتحديا سافرا لمشاعر الجزائريين، فقامت بإحياء ذكرى القرن الأول للاحتلال⁽¹⁸⁾، وخلّدتها باحتفالات ضخمة وصاخبة، انطلقت من جانفي 1930 لتعرف ذروتها في 05 جويلية من ذات السنة والموافق لمرور قرن على إمضاء الداي لمعاهدة الاستسلام، ابتهاجا بهذه المناسبة، وظنا بالبقاء إلى الأبد. وقد بدأ التحضير للاحتفالات منذ سنة 1923، وفي 1927 تمّ وضع نصب تذكاري للجنرال لامورسيير الذي استسلم إليه الأمير عبد القادر في سنة 1847⁽¹⁹⁾، وقد تضمن برنامج الاحتفالات معارض ومحاضرات واستعراضات عسكرية ورياضية، ومن بين الاستعراضات تلك التي أعادت كيفية دخول الجيش الفرنسي إلى العاصمة سنة 1830 وكانت مزهوة بنشوة الانتصار، وتذكيرا بهزائم الجزائريين التي منوا بها خلال القرن 19م، حتى لا يفكروا في الثورة مرة أخرى⁽²⁰⁾، واعتبرت هذه المناسبة تشييعا لجنازة الإسلام، وتمّ تسجيل حضور مئات المشاركين من رجال الدين والقساوسة ليعلموا عودة المسيحية من جديد إلى إفريقيا الشمالية،

وارتفعت الأصوات ضد الدين الإسلامي⁽²¹⁾، وذلك ما يفسر الروح الصليبية التي ميّزت السيطرة الفرنسية على الجزائر.

لقد هدّدت شخصية الجزائريين في هذه المناسبة ورسخ في أذهان الأوروبيين أن ملكيتهم للجزائر أصبحت شرعية وأنهم أولى بها، ولأنها تفرنست فأهلها فرنسيون بعضهم بالأصالة وأغلبهم بالقانون.

وكلفت هذه الاحتفالات الخزينة حوالي مائة وثلاثين "130" مليون فرنك⁽²²⁾، وفي المقابل يداس شعب بكامله، ويرمى به إلى الفقر والجهل بحرمانه من عائدات البلاد وخيراتها.

ولكي يعطي المحتفلون صورة من إنجازات فرنسا في الجزائر، تولت أكاديمية الجزائر العاصمة طبع سلسلة من الأعمال تحت عنوان "مجموعة الاحتفال المئوي"، ومما قامت بإنجازه كتاب: "تاريخ ومؤرخو الجزائر" الذي ضم بحوثا في مختلف العصور التاريخية للجزائر، وكتب مقدمته ستيفان قزال.

وبطبيعة الحال، فقد تألم الجزائريون وأهينت كرامتهم بنبش جروح قديمة، وعلى الرغم من ذلك فإن الاحتفالات في رأي أحد الكتاب المعاصرين قد قدّمت القضية الجزائرية عشرين سنة⁽²³⁾ إذ شعر مفكرو الجزائر بضرورة التكامل والعمل الجدّي، خاصة وأن طريق الإصلاح قد مهد له قبل ذلك، فكان من أهم نتائج الاحتفالات ظهور جمعية العلماء المسلمين، وعن حركتها قال

الإبراهيمي بأنهم استطاعوا بدعايتهم السرية إفساد الكثير من برامج الاحتفالات، كما استطاعوا جمع الشعب الجزائري، لينتظر الرد العملي على التحدي الحضاري السافر، والذي جاء في وقته المطلوب يوم 05 ماي 1931. كما قرر توفيق المدني بفعل تأثير الاحتفالات أن يستعد لثلاثة أعمال:

أولها : إنشاء جماعة إسلامية صادقة، أي جمعية العلماء المسلمين، وقد انتقده معاصروه على انساب هذا العمل لشخصه كما سنرى عند الحديث عن المدني، وثانيهما : تأليف كتاب يسجل تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ويصف مجتمعا، وحالها الحاضر، وينفخ فيه روح الأمل واليقين، وتجسد ذلك في كتاب الجزائر سنة 1931. وثالثهما: تأليف كتاب آخر ينفي عن الجزائر وصمة اللصوصية والنهب والظلم⁽²⁴⁾، فكان أن صدر كتاب محمد بن عثمان باشا داي الجزائر... سنة 1937. أما النجم فقد تضاعفت روحه النضالية، وأعلن أعضاؤه استقلالهم الكامل عن الشيوعيين كما رأينا سابقا وأخذ مصالي الحاج وزملاؤه في النضال والعمل السري، وتبنّوا فكرة إحياء الشخصية العربية الإسلامية للجزائر. وعن احتفال الفرنسيين بهزيمة الجزائر قال فرحات عباس من جهته: "لو أتيح لي أن أكتب تاريخ الاستعمار الفرنسي لعدت به إلى هزيمة نابليون في فاتيلرو"⁽²⁵⁾.

ومن خلال ردود الأفعال ندرك جليا أن تأثير الاحتفالات كان فعلا ضربة للمشاعر، ولكنها كانت منبها للغافلين، لأن الاحتفال بالقرن الأول كان تمهيدا لإعلان احتلال قرن ثان، ولكن العلماء رأوا بأن فرنسا ان احتفلت بالقرن الأول فلن تحتفل بالثاني⁽²⁶⁾.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931 - 1956 :

تأسست يوم 05 ماي 1931، بمدينة الجزائر في نادي الترقى، وكانت الرئاسة للشيخ عبد الحميد بن باديس، والنيابة للبشير الإبراهيمي، وأمانة المال لمبارك الميلي.

تتلخص أهداف هذه الجمعية في نشر التعليم العربي ومحاربة الخرافات وتصفية الإسلام من الشوائب، وإحياء الحس التاريخي الإسلامي⁽²⁷⁾، أي إيقاظ الجزائريين من غفلتهم، لتهيئة المجتمع وإخراجه من التخلف الفكري والعقلي، بالإصلاح الديني والاجتماعي خاصة وأن الأهالي في حالة جهل وأمية جرّاء سياسة الاحتلال. وقد نص قانونها الأساسي على أنها تهذيبية إرشادية، تحارب الآفات الاجتماعية وكل ما يحرمه الشرع، وأنها تتذرع لغايتها بكل ما تراه نافعا غير مخالف للقوانين المعمول بها، ولهذا كانت حريصة على حفظ الإسلام والعربية⁽²⁸⁾.

لقد اعترفت الإدارة الفرنسية بالقانون الأساسي خلال مدة قصيرة، فكيف تم ذلك؟

من المعلوم أنه في تلك الفترة كان علماء ورجال دين طرقيون منغمسون في ضلالات ومتاهاات، فاعتبرت الإدارة هذه الجمعية من ذلك الصنف. كما أن القانون الأساسي المقدم لا يشكل في ظاهره خطرا عليها، واعتقدت أن علماءها على شاكلة أولئك الطرقيين. وتزامن ميلاد الجمعية مع التزييف الذي خلفته احتفالات العيد المتوي للاحتلال، إذ قال المشرفون عليه: "إننا نحتفل بجنازة الإسلام إلى مثواه الأخير" (29).

وإذا كان اعتراف الإدارة الفرنسية بالجمعية سريعا، فإن تغير لهجتها كان أسرع، فبعد أقل من عامين قلبت لها ظهر المجن لظهور نشاط الجمعية التي قامت بتطبيق مشروعاتها، ومن ذلك نشر التعليم العربي ورعايته والدفاع عنه، وبعث النهضة التعليمية العربية، وإحياء الثقافة الإسلامية حفاظا على الشخصية الجزائرية السائرة في طريق الاندثار، فأنشأت مدارس في مختلف أنحاء القطر، وشهد التعليم قفزة نوعية مقارنة بما بذلته فرنسا من مجهودات لمنع الأهالي من التعليم.

والجدول التالي يوضح تطور عدد مدارس الجمعية :

عدد التلاميذ	عدد المدارس	
30.000	70	1934
	107	1944
	⁽³⁰⁾ 140	1948
	⁽³¹⁾ 126	1950
	⁽³²⁾ 150	1954

يتضح لنا من خلال الجدول أن عدد المدارس تضاعف خلال عقدين رغم ظروف الحرب العالمية الثانية وسياسة الاحتلال. ولم تكتف الجمعية بإنشاء المدارس الابتدائية، بل عملت على إيجاد معاهد عليا، وترجم ذلك خلال سنة 1947، بتأسيس أول معهد للتعليم الثانوي بقسنطينة أطلق عليه اسم عبد الحميد بن باديس، وبلغ عدد طلابه خلال السنة الدراسية 1950/1951، 702 طالبا، ووصل العدد في سنة 1954 إلى 913 طالبا⁽³³⁾، ومن هذا المعهد أرسلت بعثات علمية تجاه القرويين والزيتونة والأزهر.

وتضمنت البرامج الدراسية تعليم القرآن، وتدريس الفلسفة الإسلامية، والشريعة والأحكام، وقواعد اللغة العربية، ونشر التاريخ الجزائري. وقد ركزت المناهج الدراسية بصفة خاصة على أربعة أشياء هي: العربية، والدين الإسلامي، وتاريخ الجزائر، وجغرافية الجزائر والمغرب العربي.

وهكذا فإن مدارس الجمعية كوّنت على الأقل شبابا يجيد القراءة والكتابة والخطاب باللغة العربية ، ويؤمن بالمبادئ السامية⁽³⁴⁾ ، على حد تعبير أحد المؤرخين الفرنسيين .

لم تكتف الجمعية بالعمل داخل القطر ، فقد تعدى ذلك إلى بلاد المهجر بفرنسا ، فامتد نشاط العلماء إلى حيث يوجد المهاجرون الجزائريون ، فأسست مجموعة نوادي ثقافية لإلقاء المحاضرات التوجيهية ودروس الوعظ ، محافظة على شخصية أولئك العمال ، وكان الفضيل الورثلاني قائد هذه المهمة ابتداء من سنة 1936⁽³⁵⁾ ، الذي جاوز البحر إلى فرنسا للإصلاح .

إن بعث النهضة التعليمية العربية لم يكن الهدف الوحيد ، فقد كان للجمعية اهتمامات اجتماعية وسياسية فكيف ذلك؟

فيما يخص المجال الأول ، اعتنت بالميادين المختلفة من حياة المجتمع ، واستمدت نظرتها إلى العدالة الاجتماعية من أحكام الشريعة الإسلامية ، وتقيدت بها ، واهتمت بالشباب كونهم قاعدة للإصلاح ، فأنشأت النوادي الثقافية والفرق الكشفية لتربية الشباب تربية اجتماعية وطنية⁽³⁶⁾ ، وكانت تقيم المحاضرات العامة والتمثيليات والمهرجانات الثقافية والدينية بمناسبة الأعياد الإسلامية⁽³⁷⁾ ، واهتمت بتعليم المرأة لأن بناء المستقبل يكون بتعليم البنين والبنات⁽³⁸⁾ .

أما المجال الثاني (السياسي) فإن اصطدام قاداتها ومؤسساتها بالإجراءات الاضطهادية هو الذي جعلها تخوض السياسة رغم أنفها⁽³⁹⁾، فمنذ 1932 انتهى التسامح الذي عبّر عنه أحد المؤرخين "بالتسامح الساذج"⁽⁴⁰⁾ من طرف الإدارة، وذلك عندما تأكد لها أن حركة العلماء بدأت تظهر كقوة سياسية، وسنتطرق للمضايقات التي تعرضت لها حينذاك في هذا الفصل .

ومن النشاطات السياسية التي قامت بها الجمعية، ما بذلته خلال سنة 1936 من المجهودات الكبيرة لعقد أول مؤتمر إسلامي جزائري، يضم جميع أطراف الحركة الوطنية الجزائرية للخروج بقرارات إصلاحية لفائدة الشعب الجزائري .

وعن قضية الاندماج رفض ابن باديس ونفى أن يكون الشعب الجزائري فرنسياً، وأصدر فتوى تحرم التجنس⁽⁴¹⁾ .

وعن الموقف من الحرب العالمية الثانية فقد التزمت إدارة الجمعية الصمت، وهو موقف سياسي، وقام ابن باديس بالتخطيط للثورة ولكنه توفي، وأكد ذلك أحمد حماني بقوله : "عندما يؤسست الجمعية من وعود فرنسا رأت أنه آن الأوان لليأس منها ، وليس أمام اليأس إلا اللجوء إلى سلاح اليأس، وهذا السلاح هو الثورة"⁽⁴²⁾ .

وعن الذين شاركوا في الحرب مع فرنسا ، قال عنهم ابن باديس "لو استشاروني لأشرت عليهم بالصعود إلى جبال الأوراس، وشن الثورة من هناك"⁽⁴³⁾ .

وقد ساهم العلماء في تحرير البيان الجزائري، كما شاركوا في التحضير لتأسيس جمعية أصدقاء البيان والحرية، وسبق الإبراهيمي وفرحات عباس إلى السجن بعد مجزرة الثامن ماي 1945، وكان للعلماء رأي في دستور 1947، وفي سنة 1956 انضموا إلى الثورة⁽⁴⁴⁾ ... وكل هذه المواقف تدل على الاتجاهات السياسية للجمعية .

من المضايقات الشديدة التي تعرضت لها، ما صدر في حقها من قرارات، ففي 1933 منعت من إلقاء الدروس والخطب في المساجد، وفي سنة 1935 صدر قرار يقضي بتضييق الخناق عليها، وأدخل الطيب العقبي إلى سجن بربروس سنة 1936 كما تمّ غلق المدارس التابعة للجمعية في عمالتي قسنطينة ووهران⁽⁴⁵⁾. وفي 8 مارس 1938 أصدرت الحكومة قرارا يقضي بتضييق دائرة التعليم العربي الحر، ومنع العلماء من التدريس إلا برخصة، ولكون مدارس الجمعية تفتقد للرخص فقد تعرضت للغلق منها دار الحديث في تلمسان التي كان يديرها الإبراهيمي وحاولت إيقاف المعلمين عن ممارسة التعليم تحت طائلة الملاحقة القضائية⁽⁴⁶⁾. واعتبر ابن باديس هذا القانون ضربة للدين⁽⁴⁷⁾. ومن سوء حظ الجمعية أنها لقيت صراعا مع رجال الطرق الصوفية⁽⁴⁸⁾، نتيجة تعارضها مع الجمعية، وحسب مبارك الميلي فإن الجمعية عملت لغاية واضحة هي إعادة جادة الإسلام كما جاء به عليه الصلاة

والسلام، " لإيقاظ الشعب من غفلته، وغسل أدران الخرافات عن قلبه ورفع داء الأوهام عن عقله " ⁽⁴⁹⁾. وآخر ما تعرضت له الجمعية اغتيال الشيخ العربي التبسي نتيجة انضمام الجمعية للثورة ⁽⁵⁰⁾.

بالرغم من كل تلك المضايقات إلا أن الجمعية صمدت وقامت بأداء رسالتها على أحسن ما يرام، وكان لها الفضل في عملية تصفية ذلك القسط من الراسب الثقافى السلبى المتمثل في النزعة المرابطية ⁽⁵¹⁾، وعن إحياء اللغة العربية فإن كل من يعرف هذه اللغة غداة الاستقلال مدين للعمل الذي قام به ابن باديس وجماعته .

وإذا كانت بعض الحركات السياسية اعتمدت الكفاح المسلح لبلوغ غايتها، فإن حركة الجمعية الدينية مهدت السبيل لاعتماد أسلوب الإصلاح الدينى والاجتماعى الذى هيا الأنفس للانصهار في الحركة الثورية، بدليل أن أغلب مناضلي حزب الشعب من تلاميذ الجمعية، ولم يكن لديهم شعور بالتناقض في الإنتمائين ⁽⁵²⁾.

- المؤتمر الإسلامى الجزائرى 1936 :

تتسب فكرة عقد مؤتمر إسلامى للشيخ عبد الحميد بن باديس بهدف ضم قادة الرأي في القطر الجزائرى لتقرير خطة موحدة جزائرية تجمع فيها الأمة على رأي. وقد اجتمع المؤتمرين في 07 جوان 1936 بنادي الترقى، بحضور كل من العلماء

والاشتراكيين والشيوعيين والنخبة⁽⁵³⁾، وهذا الحضور أثار انتباه أحد الكتاب عندما كتب قائلاً: "ومن المدهش أن تتلاقى العناصر المتافرة من نزعة إسلامية عربية (العلماء)، ونزعة علمانية (الشيوعيون)، والبورجوازية (النخبة)"⁽⁵⁴⁾.

ويبدو أن الاتفاق كان نتيجة رغبة وطنية، من أجل المطالبة بتحسين الوضعية العامة للبلاد. أما عن حضور نجم شمال إفريقيا فنجد رأيين، الأول مفاده عدم وضوح موقفه خاصة وأن دعوة النجم الاستقلالية تتنافى مع مطالب المؤتمر، والتي ظهر أنها مبنية على مشروع بلوم/فيوليت⁽⁵⁵⁾، أما الرأي الثاني فيفيد بمشاركة النجم ممثلاً بفرعي تلمسان ومستغانم⁽⁵⁶⁾.

وإن كان الاختلاف حول حضور النجم، فإن الاتفاق كان حول ما حصده من المؤتمر، وذلك ماسنعرفه في حينه.

إن هدف الجمعية من الدعوة والمشاركة كان للدفاع عن الكيان العربي الإسلامي وإدماج المطالب الدينية ومنها فصل الدين عن الحكومة الفرنسية، وتعليم اللغة العربية، وحرية التعليم العربي بالمدارس الخاصة. أما النواب والنخبة فكان هدفهم تطبيق مشروع بلوم/فيوليت الذي وضع من أجلهم، أما الاشتراكيون فلجمع قوى الشعب الجزائري وراء الجبهة الشعبية التي تحمل شعار محاربة الاضطهاد والظلم في المستعمرات⁽⁵⁷⁾.

وأسفر المؤتمر عن قرارات لا تكاد تخرج من ناحيتها السياسية عن مشروع بلوم/فيوليت، الذي كان يرمي إلى :
الانتخاب العام في صندوق واحد مشترك بين الجزائريين والفرنسيين، وإلغاء قوانين الأنديجينا بصفة نهائية، والاعتراف بالعربية لغة رسمية، ومحافظة المسلمين ممن يدخلون ضمن الطبقات الفرنسية الانتخابية، على حالتهم الشخصية الإسلامية، فلا يعتبرون متجنسين، وطلبت مقررات المؤتمر إصلاحات اجتماعية واقتصادية، وكلها تدور في فلك المساواة بين الأوروبيين والمسلمين⁽⁵⁸⁾.

حسب الأستاذ سعد الله فإن هذا المؤتمر لم يكن سوى تقديم لعريضة مطالب متواضعة، وما هو إلا مناسبة اجتماعية أكثر منها سياسية⁽⁵⁹⁾.

على إثر وصول لجنة المؤتمر الإسلامي إلى باريس يوم 18 جويلية 1936 زارها وفد نجم شمال إفريقيا بقيادة مصالي الحاج، وأعرب عن معارضته للمطالب السياسية، والمتمثلة في إلحاق الجزائر بفرنسا والتمثيل بالبرلمان الفرنسي. وأظهر ابن باديس موافقته لشروح النجم⁽⁶⁰⁾، وتم تقديم العريضة يوم 18 جويلية إلى حكومة الجبهة الشعبية.

إن التساؤل الذي يطرح نفسه هو: هل نجح المؤتمر أم فشل؟ ولإجابة نميل إلى القول بأن حركة المؤتمر فشلت بسبب استمرار

السياسة الاستدمارية، بحيث تمّ تدبير عملية اغتيال المفتي كحول في جويلية 1936، ولأن الطيب العقبي عضو الجمعية كان معارضا للمؤتمر، فقد اتهم بتنفيذ العملية، وتمّ سجنه. وأعلن رئيس المؤتمر ابن جلول مسؤولية العلماء عن ذلك، واستقال من الرئاسة، وحدثت أزمة بين النواب والعلماء، ثم أن الجبهة الشعبية انحلت، والتي كان ينظر إليها بعين الرضى. كما ان مطالب المؤتمر قد تبخّرت، ففي سبتمبر 1938 رفض مجلس الشيوخ الفرنسي مشروع بلوم/فيوليت، واضطرت الحكومة لسحبه، وهذا المشروع كان أساس حركة المؤتمر سنة 1936. وبذلك انتهت أمانى جمعية العلماء، ولم يتم إنصاف الجزائريين بجعلهم متساويين في الحقوق مع الأوربيين في الجزائر.

ويمكن القول أن سنة 1938 كانت البداية لتقلص نفوذ الجمعية وتعرضها لأزمات داخلية ومواجهات مع الإدارة، من ذلك ما صدر في 13 جانفي 1938، يقضي بفرض رقابة شديدة على نوادي الجمعية ومنعها من القيام بأي نشاط ثقافي أو سياسي إلا بعد الحصول على موافقة من الإدارة⁽⁶¹⁾، وحدثت أزمة داخل الجمعية بسبب الطيب العقبي الذي طلب من ابن باديس توجيه برقية ولاء لفرنسا في خريف 1939، تأييدا للحرب، وذلك ما رفضه عبد الحميد، فاستقال العقبي خلال هذه الفترة.

ولأن النجم كان بعيدا عن عقد المؤتمر، فإنه جنى الثمار إثر عودة الوفد على متن باخرة، حيث رافقه مصالي الذي كان غائبا عن الجزائر منذ ستة عشر عاما، وتم لقاء بين الوفد و الشعب يوم 02 أوت 1936 بالملاعب البلدي لمدينة الجزائر، قصد إلقاء التقرير المحمول من باريس، وكان من بين الخطباء مصالي الذي عبّر عن رأيه والنجم من ورائه عن موقفه من مطالب المؤتمر، فرفض فكرتي الإلحاق والتمثيل البرلماني، وأكد موافقته لبقية المطالب المتواضعة، وكان لخطابه الحماسي⁽⁶²⁾ تأثير كبير على مشاعر الجزائريين فزادت شعبيته .

أما الجمعية التي ولدت دينية، فإنها اتهمت في هذه المناسبة بتعاطي السياسة، فرأى مالك بن نبي أن المؤتمر كان أكبر سبب جرّ الحركة الإصلاحية الجزائرية إلى أول انحرافها⁽⁶³⁾. وبالرغم من أن العلماء ضد الفرنسيين إلا أنهم تحالفوا مع النخبة الموالية لفرنسا، والراغبة في الحصول على المواطنة الفرنسية .

أما موقف السيد محمد قنانش فرأى "بأن المؤتمر راح يطالب بالحقاء الجزائر بفرنسا من غير حياء ولا تقدير للمسؤولية وبالتمثيل في البرلمان ، الفرنسي بين الذئاب المفترسة"⁽⁶⁴⁾، أما المدني فلم يكن راضيا عن المطالب المقدمة، ورأى وجوب تطوير المطالب في ذلك المؤتمر، فلم يحضر ، واعتبر المؤتمر مخفقا⁽⁶⁵⁾ .

ولكن الملاحظ الحصيف يرى أن ابن باديس لا يمكن له أن يبقى معلماً وواعظاً ، وهو ببلد ديست فيه أبسط حقوق الإنسان ، وإن دعا لعقد هذا المؤتمر فإن الظروف هي التي حثمت ذلك ، لأن مشروع بلوم/فيوليت انخدع له معظم الجزائريين ، وعبر ابن باديس عن خطر هذا المشروع ، وذلك استناداً لشهادة أحد معاصريه من العلماء ، الذي قال "...وأذكر والشهادة لله ، ... حدثنا الشيخ عن هذا البروجي [كذا] وكشف عن مساويه ، وما كان خفياً عنا ، وكان الشهاب ساكتاً عن بعضه فقلت: يا أستاذ ، لماذا لا تكشف للشعب هذه المساوئ؟ فأجاب رحمه الله : الشعب اليوم مغترباً يعرض عليه ، وهو سراب ، فدعه حتى يضربه الحائط ، وتصيبه الخيبة ، فيستيقظ ويكون رد فعله أعنف" (66) .

ولذلك كان ابن باديس عارفاً لجبروت فرنسا ، ومتيقناً من الأمل الذي بناه الشعب على المشروع ، فلا يمكن له معارضة ذلك ، ولسائل يسأل : ولماذا شارك في المؤتمر؟ نقول بأنه مدّ يده لفرنسا كآخر أمل ظاهري فيها ، وبخصوص ذلك قال : "إننا مددنا إلى الحكومة أيدينا ، وفتحنا قلوبنا ، فإن مدّت يدها ، ملأت قلوبنا بالحب فهو المراد ، وإن ضيّعت فرنسا فرصتها هذه فإننا نقبض أيدينا ، ونغلق قلوبنا فلا نفتحها إلى الأبد" (67) .

وبمناسبة عودة مصالي إلى الجزائر سنة 1936 قال الشيخ : "ما غايتنا من عملنا إلا تحقيق الاستقلال" (68) .

إن الهدف من البحث في مواقف ابن باديس هاته من أجل النظر في الاتهامات التي ألصقت بالجمعية جرّاء مشاركتها في المؤتمر، وخلاصة القول عن المؤتمر، فإنه كان مرحلة حاسمة نبّه الجزائريين بأن فرنسا اليمينية أو اليسارية واحدة، وإن اختلفت النظرة المصلحية فالموقف واحد ضد المستعمرة.

الهوامش:

- 1 - محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919 - 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 ص ص 44، 46.
- 2 - نفسه، ص. 50.
- 3 - شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ت المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1396/1976، ص 140.
- 4 - عبد الحميد زوزو، دور المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية بين الحربين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر لد ت، ص 63.
- 5 - غيليسبي (جوان)، الجزائر الثائرة، ت خيرى حماد، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 1961، ص. 57.
- 6 - التعرف على برنامج النجم الذي أقره إثر مؤتمر 1933 يرجع إلى زوزو، المرجع السابق، ملحق 1، ص 188.
- 7 - صلاح العقاد، الجزائر المعاصرة، مطبعة الرسالة، القاهرة، لد ت، ص 36.
- 8 - جوليان، المصدر السابق، ص 141.
- 9 - نفسه، ص 143.
- 10 - قنانش، المصدر السابق، ص 84.
- 10-Mahfoud Kaddache, Histoire du nationalisme Algérien 1919-1951, 2T SNED Alger, 1981, T2, P943.
- 11 - زوزو، المرجع السابق، ص 70.
- 12-Charle - Robert Ageron, Histoire de l'Algérie Contemporaine (1830-1970), 4^{eme} edition, P.U.F, 1970, p.90 .
- 13 - زوزو، نفس المرجع السابق.
- 14 - . - بوحوش (عمار)، التاريخ السياسي منذ البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ط 1، 1997 ص 304.
- 15 - بنيامين سطورا، مصالي الحاج أبو الوطنية الجزائرية، ت صادق عماري، مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 180.

- 16 -بوحوش، المرجع السابق، ص305
 - 17 -ذهب الغرور بالاستعمار إلى أن يجمع الشمال الإفريقي في هذا التحدي، فقرر في المغرب الأقصى الظهير البربري، وعن ذلك يرجع إلى محمد خير فاس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب 1901 -1939، دمشق، لدن، 1972. ورجع إلى تونس فنظم المؤتمر الايخارستي الذي لا يجتمع إلا في البلدان المسيحية.
 - 18 -سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الآداب، بيروت 1969، ص.349
 - 19 -عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى 1931 -1945، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار الجزائر 1996، ص101.
 - 20 -المدني، حياة كفاح - مذكرات، 3 أقسام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع لد، ت، الجزائر، القسم الثاني في الجزائر، 1925 -1954، ص 171.
 - 21 -بوالصفصاف، نفس المرجع السابق.
 - 22 -عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1913 - 1940، دار الشهاب، بيروت ط1، 1999/1420 ص.125
 - 23 - المدني، المصدر السابق، ص.172
 - 24 -نفسه، ص.53
 - 25 -عمار مطاطلة /الذكرى السبعون لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ماي1931 -ماي2001 /في/ البصائر، ع56 الاثني 25 جوان -02جويلية2001، ص.07
 - 26 -محمد خير الدين/خطبة الأستاذ محمد خير الدين /في/سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قسنطينة 1935، ص.160
 - 27 -محمد البشير الإبراهيمي /جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كما هي:المرجع السابق ص77.
 - 28 - محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي بالجزائر، ج4، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1999، ج1، 1، القطاع القسنطيني ص20.
- 29-Ali Merad, le Réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, Editions el-Hikma Alger, 2^{eme} ed, 1999, p.337.

التطورات السياسية في الجزائر خلال 1926م - 1936م

- 30 -قائمة توزيع المعلمين لسنة 1949 -1950/في/البصائر، ع93 من س 3، عدد خاص بمدارس جمعية العلماء، 9محرم 1359 / 31 أكتوبر 1949، ص ص15، 16، 17.
- 31 -نشرت البصائر قائمة بأسماء 126 مدرسة في كل من وهران، الجزائر، قسنطينة/ ع135، س8، 3ربيع الأول 1370/ 18 ديسمبر 1950، ص ص - 203.
- 32 -أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص.212.
- 33 -فضلاء، المرجع السابق، ص55.
- 34- Ageron, histoire de l'Algérie contemporaine (1871-1954), 2T, P.U.F, 1^{ere} ed, 1979, p.582.
- 35 -البشير الإبراهيمي/الفضيل الورتلاني/في/البصائر، س3، ع110 من السلسلة 2، الاثنين 17 جماد الأولى 1369هـ/6مارس 1950، ص01.
- 36 -الخطيب، المصدر السابق، ص224.
- 37 -مرآة، المرجع السابق، ص310.
- 38 -ليلي بن ذياب (تعليم المرأة) في البصائر، ع93 السابق، ص14.
- 39-Kaddache, op cit, T1, P335.
- 40 -أجرون، المصدر السابق، ص342.
- 41 -نص الفتوى في زروقة (عبد الرشيد)، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1913 -1940 دار الشهاب، بيروت ط1، 1420/1999، ص ص 140، 139.
- 42 - (صورة من ذكرياتي مع الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس) في (الشعب)، صادرة عن وزارة الثقافة والإعلام الجزائر، ع8230، الاثنين 21 رمضان 1410 هـ/ 16 أبريل 1990، ص03.
- 43 -نفسه.
- 44 -انظر بيان انضمام الجمعية للثورة في كتاب بوحوش، المرجع السابق، ص - ص276- 279.
- 45 -من ذلك تعطيل مدرسة دار الحديث بتلمسان، أنظر أحمد الطالب الإبراهيمي، آثار الإمام الإبراهيمي، 4ج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 1997، ج1، ص312.

- 46 -مرّاد ، المرجع السابق، ص340، هامش رقم 1.
- 47 -قانون 8ماي ضربة قاتلة للدين الإسلامي /في/ البصائر، س4 ، ع157، 25محرم 1338،
- 17مارس 1939 ، ص1 .
- 48 -أنظر بوالصفصاف، المرجع السابق، ص 177، فصل الجمعية والطرق الصوفية .
- 49 -جمعية العلماء وخصومها /في/ البصائر، س، ع109، 21 صفر 1357هـ/17 مارس 1939، ص1
- 50 -بوحوش، المرجع السابق، ص.278
- 51 -مالك بن نبي، آفاق جزائرية للحضارة، للثقافية، للمفهومية، ت الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية [دتا] الجزائر، ص.109
- 52 -حميد لعدايسية /مفاهيم ينبغي أن تصحح في الحركة الوطنية/في/ البصائر، ع56، الاثنين 03 -10 ربيع الثاني 1422هـ / 25 جوان -02 جويلية 2001، ص.13
- 53 -عباس، المصدر السابق، ص.153
- 54 -العقاد، المرجع السابق، ص.40
- 55 -مشروع وضعه والي الجزائر العام موريس فيوليت (Maurice viollette)وكان يهدف إلى إدماج النخبة الجزائرية في المجتمع الفرنسي، وضمّنه شروطا تسمح لهم بالاندماج واكتساب الجنسية تتعلق بمستواهم الثقافي وخدمتهم بالجيش الفرنسي، وهم حوالي 25000 فرد، غير أنه واجه معارضة المعمرين الفرنسيين وبتواطؤ الادارة معهم، فلم ينجح. أما ليون بلوم Lion Blum الذي ارتبط اسمه بهذا المشروع فهو رئيس الحكومة الفرنسية عندئذ (1936) وكان يتزعم الجبهة الشعبية .
- 56 -قنانش، المصدر ال سعد الله ، الحركة، ج3، المرجع السابق، ص152 .
- 57 -فهمي سعد، حركة عبد الحميد بن باديس ودورها في يقضة الجزائر، دار الرحاب، بيروت ، ط1، 1983، ص.119
- 58 -المرجع السابق، ص.158
- 59 -سابق، ص.70
- 60 -قنانش، المصدر السابق، ص.71
- 61 -بوحوش، المرجع السابق، ص.263

التطورات السياسية في الجزائر خلال 1926م – 1936م

- 62 -انظر خطابه في كتاب: سطورا، المرجع السابق ص ص -142،144 .
- 63 -شروط النهضة، ت عبد الصبور شاهين، عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق 1405هـ/1985، ص26.
- 64 -المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945، منشورات دحلب لادتا الجزائر ص46.
- 65 -المصدر السابق، ص253.
- 66 -حماني، المقال السابق.
- 67 -نفسه .
- 68 -عمار طالبي، ابن باديس، حياته وآثاره، 4ج، الشركة الجزائرية، لصاحبها عبد القادر بوداود، الجزائر، ط3 1417هـ/1997، ج1، ص89.